الطبعة الثانية

اللواء أحمد عبد الوهاب

الحضارة الغائبة

وجهة نظر

تاريخ النصرانية في مصر

مركز التنوير الإسلامي



وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

أبو إسلام أحمد عبد الله

الحضارة الغائبة

تاريخ النصرانية في مصر

مركز
التنوير الإسلامي

الطبعة الأولى
حقوق الطبع والنسخ والاقتباس مباحة
ذي القعدة ١٤٢٤هـ يناير ٢٠٠٤

عنوان الكتاب: الحضارة الغائبة (تاريخ النصرانية في مصر)

اسم المؤلف: أبو إسلام أحمد عبد الله

تصميم الغلاف: الفنان حسام الجندي

خطوط الغلاف: مهندس أحمد فوزي

الإشراف التنفيذي: دكتور إسلام أحمد

عنوان المراسلة: القاهرة - كوبري القبة: (١٠١) شارع القائد

العنوان الإلكتروني: abuislam _ a@hotmail.com

الهاتف: ٦٨٣١٥٥٢ - ٤٨٤٤٦٠٤ القاهرة

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٢٩٧٠

الترقيم الدولي: X - 078 - 289 - 977

مركز التنوير الإسلامي

مرحباً بكم في شبكة (بلدي) لمقاومة التنصير والماسونية

[www.BaladyNet.net]

لحن جديد ذلك الذي بدأ نصارى مصر عزفه، في سنوات الفتنة الأخيرة، التي بدأت (وعفوا) مع تولي نيافة الأنبا شنودة لقيادة الكنيسة عام ١٩٧١، تحت عنوان «التاريخ الغائب»، أو «الحضارة المختزلة من رصيد الأمة المصرية».

وللحق، فإن مصطلح «الحضارة»، أصبح يحتل موقع الصدارة في الأدبيات الكنسية المعاصرة في مصر، خاصة في الربع الأخير من القرن العشرين، حيث نجد أنفسنا في حاجة شديدة لإعادة النظر في كل التعريفات العلمية، الغربية والشرقية، للوقوف على هوية الحضارة المصرية إجمالاً وتفصيلاً، في محاولة لحل أزمة الصراع الكنسي الداخلي، الباحث لنفسه عن حضارة «قبطية» (بمعنى «نصرانية» لا بمعنى «مصرية»)، مستقلة عن الحضارة «القبطية» (بمعنى «الفرعونية»)، تلك التي كانت قبل ثلاثة وعشرين قرناً من الزمان.

ولاشك أن هذا يحتاج إلى عمل أكاديمي مؤسسي ضخم، يلبي حاجة المصريين والعالم إليه، للوقوف (برؤية جديدة) على التوثيق العلمي لحضارة هذه الأمة العريقة، إلا أن ذلك لا يمنعنا من طرح رؤية (ما)، تجاه هذا المطلب الملح عند أهلنا من نصارى مصر، في أن تكون لهم حضارة «قبطية نصرانية» مستقلة عن حضارة الأمة الـ «القبطية التي كانت فرعونية ثم تنصرت، ثم كانت نصرانية وتأسلمت».

ونقول بداية: إن عدد النصارى الذين يتبعون عقيدة الفاتيكان الكاثوليكية في العالم، يساوي تقريباً عدد المسلمين في العالم، وبرغم ذلك لم نسمع أن الفاتيكان يطالب إيطاليا أو بريطانيا أو المجموعة الأوربية بإدراج ما يسمى بالحضارة الفاتيكانية في المناهج الدراسية

والتعليمية. انما هناك حضارة غربية إجمالاً. أو يونانية أو رومانية أو بيزنطية. كما أن هناك حضارة فارسية أو حضارة فرعونية أو حضارة إسلامية. لكننا لم نسمع إطلاقاً بحضارة لكنيسة لا يتجاوز عدد المنتمين اليها في كل انحاء العالم ثلاثة وعشرين مليونا من الأرثوذكس. تشير اليهم إحصاءات الأمم المتحدة لسكان العالم بعبارة (ديانات أخرى) دون ذكر اسم الأرثوذكسية. وتمثل الأرثوذكسية المصرية من مجموع هذه الأرثوذكسية في العالم بنسبة ٠٫٠٢٢٪ بما يساوي أقل من ١٫٥ مليون ارثوذكسي قبطي في العالم كله. بحسب تقرير الأمم المتحدة ١٩٩٨ص.

وبالتالي فإن صناعة أزمة. تحت شعار ما أطلق عليه الحضارة القبطية. إنما يعني احتمالا واحدا. هو الرغبة الشهوانية في الامتداد الكنسي لثلاثة ملايين أرثوذكسي في مصر وفقط، من بين الملايين الأربعة لكل طوائف النصارى وغير المسلمين إجمالاً في مصر، إحياء للطقوس والعادات والتماثيل والإشارات واللغة الفرعونية القديمة، التي مات الآلاف من أبناء مصر في القرون الثلاثة الأولى في سبيل القضاء عليها انتصارا حينذاك للنصرانية المحاربة للفرعونية، إذ لم ير أحدا المسيح عليه السلام يقدس تمثالا، ولا طلب من أحد حوارييه أن يصنع له أو لأمه صنماً أو أقنوماً كالذي كان عند الفرس أو اليونان أو الرومان، بل إنه عليه السلام لم يبادر بوضع حجر أساس لبناء كنيسة، ولم يرفع صليباً، ولم ترد له نبوءة بحب الصلب أو مباركة الصليب. ويكون من الظلم والغبن أن نتلمس مجازاً حضارة ثلاثة ملايين أرثوذكسي، صراعاً مع حضارة مليار مسلم. إنما يكون التشخيص العلمي لحالة كهذه، هو صراع مطامع وأيديولوجيات ومصالح. تعلن فيه أيديولوجية الأقلية (العددية):

انشقاقها على تاريخها التفاعلي الطويل: ثقافياً ولغوياً وأخلاقياً وعادات وتقاليداً، مع أيديولوجية الأغلبية (العددية والعقدية) في البلاد.

وعندما رجعت إلى اثنين وثمانين حادثاً، هي كل ما حدث من مواجهات بين المسلمين والنصارى في مصر على مدى التاريخ، وجدت أن وراء هذه الفتنة دائماً، رجلاً نصرانياً جاء لكرسي الكنيسة، أو رجلاً مسلماً جاء لكرسي الحكم، يريد أن يغيث بحقده وغله، محتكماً إلى هواه ومزاجه الخاص، المخالف للكتب الإلهية، محاولاً قطع أوصال التفاعل التاريخي الإنساني الفكري الثقافي الصامد والصامت والممتد، حتى أصبح وشيجة من وشائج جسد الأمة، تصرخ له كلها إن جرح، وتتألم له إن أوذي، تلك الصرخات وآهات الألم التي تصيب الجسد المارد بذلك الداء الذي أسموه بـ «الفتنة الطائفية».

ثم بات من العجائب، إنه في الوقت الذي تسعى فيه الأمم والحضارات إلى الحوار والتفاعل والذوبان وإيجاد صيغة للتقارب والتعاون، نجد أن الأرثوذكس الأقباط في مصر يبذلون جهودهم وأقصى ما لديهم من طاقات مادية وعقلية وطموحات، في سبيل الانسلاخ من حضارة الأمة، واللوذ بحضارة تحمل اسمهم وحدهم، تميزاً واستقلالاً، وهم على يقين كامل أن هذا الإنشاء وذلك التميز وذاك الاستقلال، لن يكون له وجود أو قبول، بغير الصراع والتحدي والمواجهة مع الآخر (المسلمون).

ولا يجب ولا يعقل، أن ينحط قدر المسلمين إلى مستوى من الهوان - في تصورات وعيون الأرثوذكس - يبلغ درجة أن يطلب منه اختياراً: الطاعة لكل طامع والاستكانة لكل هازع، وهو ما ترجمه بدقة شديدة الرئيس الألماني السابق «هيرتسوج» عندما قال: «ليس هناك شيء اسمه الصراع

بين الحضـــارات. لكن هناك صراع بين مطامع ومصالح وأيديولوجيات..

والمفارقة الغائبة عن الجميع: أن قرآن المسلمين نصٌ بوضوح وبجلاء على الحوار، (وبالتحديد) مع اليهود والنصارى، وألزم المسلمين بقواعد هذا الحوار، أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، كما أوصى نصاً وبوضوح إلى ضرورة الإيمان المطلق بكل الأديان الإلهية التي دعت إلى التوحيد، وبكل أنبيائها ورسلها، وألا نفرق بين أحد منهم.

في حين أن تلك الضوابط الربانية، هي تشريعات ملزمة للمسلمين، فقد غابت غيابا تاما عن عقائد الآخرين، فلم يأت مثلها على الإطلاق في نصوصهم المقدسة، ولم يأتوا لنا بقول نبي عندهم يوصيهم بالمسلمين.

كما أن التاريخ يشهد إجمالاً وتفصيلاً على ما جاء في كتاب المسلمين، وهي معضلة من معضلات الفكر الإنساني كله، يتحدى بها القرآن الكريم الذي أوحي به إلى الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، كل فكر آخر.

إن أهلنا من نصاري مصر، في هذا الإدعاء (وعفواً لهذا اللفظ، لكنه هو الحقيقة). الذين يطالبون فيه بحضارة نصرانية خاصة، إنما يعتمدون فيه على عنصري: جهل المسلمين بالتاريخ، ومساحة التسامح اللامحدودة من المسلمين تجاه من يؤذيهم، تسامحاً يبلغ حد السذاجة، والوقوع في دائرة التفريط في الدين وارتكاب الإثم المبين.

والذي يهمني الآن هو العنصر الأول، والذي يتعلق بجهل المسلمين للفترة التاريخية المشار إليها بالبنان، والمتباكي عليها بالدمع، والتي ينزف القلب الكنسي لأجلها الدماء، وهي الفترة من العام (٦٠) إلى العام (٦٤١)، بحسب التقويم الصليبي الغربي (وهو غير التقويم القبطي الأرثوذكسي في مصر، الذي يبدأ بعام (٢٨٢) من التقويم الصليبي، لكنه يسمى خطأ أو مجازاً بـ التقويم القبطي. ولا يلتزم به سائر الأرثوذكس في العالم).

إذ ارتبط العام (٦٠) بدخول مرقس الرسول (عند النصارى) إلى مصر، مبشراً بعقيدة النصرانية لمدة ستة أعوام متصلة، انتهت بقتله على يد الرومان عام (٦٧).

وارتبط العام (٦٤١) بدخول عمرو بن العاص إلى مصر، مبشراً بعقيدة الإسلام.

أما العام (٢٨٢) الذي يبدأ به التقويم الكنسي المصري، فهو عام استشهاد - بحسب التعبير الكنسي - آلاف القسس والرهبان والشعب النصراني المصري، على يد القسس والرهبان والشعب النصراني اليوناني، الذي كان يحكم البلاد حينذاك.

ولرصد هذه الفترة الغائبة من تاريخ مصر (٦٠ - ٦٤١)، والتي أتعجب، لماذا هي غائبة؟ ولماذا يتحمل وزر غيابها المسلمين الذين لم يشاركوا في غيابها، ولم تكن لهم فيها ناقة ولا جمل في إعداد كتب التاريخ المقررة على تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات، والتي هي في الغالب ما تكون من إعداد وتأليف علماء الغرب والمستغربين والمستشرقين المتقدسين عند الكنائسيين والرهبان المتبتلين في مذابح الكنائس، أو المتغربين المبتهلين أمام أصنام الصليبية.

تلك الفترة الغائبة، التي يجب على كل مسلم أن يدرسها ويتفحصها ويكون على دراية كاملة بكل أحداثها، ليشهد مزيداً من آيات الإسلام وفوقيته وسموه على كل ما يغضب الله، ويخبر من الواقع ركائز عدله ورسوخ مبادئه في إحقاق الحقوق وشفافية أوامره العبادية في العلاقات مع الآخرين.

أقول، لرصد هذه الفترة في تاريخ الحضارة المصرية، وجدت بنفسي أمام عشرات الكتب والمراجع التي أمكن تبويبها تحت (أكوام) خمسة،

(الكومة) الأولى، تطعن في الإسلام إجمالاً، دون إشارة للنصرانية.

الثانية: تطعن في ماصداقية النبي الأمي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة: تطعن في القرآن الكريم، وحياً ونصوصاً وجمعاً وتدويناً ومضمونا.

الرابعة: تطعن في السنة النبوية المطهرة سنداً ومتناً وتصنيفاً.

الكومة الخامسة، تعظم النصرانية المصرية وترصد لها تاريخاً ترضى به ويرضيها ويثلج صدرها ويخمد بركان الثورة الذي يتأجج في صدور أبنائها، بين الفينة والأخرى بفعل فاعل.

ومن هذه (الكومة) الأخيرة: اخترت واحداً من أحب الكتب إلى أبناء الكنيسة المهتمين بتاريخها، تتصدر صفحته الأولى صورة نيافة الأنبا شنودة، وأعده للنشر واحد من رهبانه البارزين هو الراهب القمص أنطونيوس الأنطوني، تحت عنوان رائع وجذاب وخطير، هو، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها، منذ عام ١٥٠م إلى عام ١٩٨١، وهي كل تاريخ الكنيسة الذي يتمنى نصارى مصر تدريسه لكل المصريين، هوداً ونصارى ومسلمين.

والكتاب مطبوع عام ١٩٩٦ص (صليبية) في ٤٩٢ صفحة، وليس به ثبتاً للمراجع، ويتضمن تسعة عشر باباً، آخرها بعنوان «تاريخ الأقباط بعد ثورة ١٩٥٢ حتى عصر السادات»، وأولها بدون عنوان، ويتكون من ثلاثة فصول: الأول منها بعنوان «الأقباط تحت حكم الدولة الرومانية»، وشغل

صفحة واحدة (ص١٢)، أما الباب الثاني فهو بعنوان (المجامع الكنسية). وأتى الباب الثالث بدون عنوان، ويضم فصلين في ثمان صفحات يدور أولهما عن (الشرق بعد مجمع خلقيدونية) والثاني يدور حول (الاحتلال الفارسي لمصر)، ثم نصل إلى بيت القصيد بالنسبة لصاحب الكتاب، وهو الباب الرابع، الذي يتناول بداية الفترة المشار إليها بالغياب عن تاريخ مصر، ويحمل عنوان: «الكنيسة القبطية في ظل الحكم الإسلامي»، لتتوالى بعد ذلك أبواب الطعن والشتم والسب والقذف والتشكيك والتزوير والتزييف في تاريخ المسلمين، فلم يترك واحداً من الخلفاء الراشدين بغير طعن، ولم يترك صالحا في تاريخ المسلمين بغير إساءة، وهو أمر مؤسف للغاية أن يأتي من راهب نفترض فيه الأمانة والصدق وعفة اللسان وأدب الحوار، خاصة وقد تصدرت الكتاب الضخم صورة الأنبا شنودة باعتبارها صكاً يشهد للكتاب بالتزكية، لكن الكتاب لم يكن أهلاً لأي صفة كريمة، مجانباً لكل قيمة أخلاقية، مفتقداً لكل ضابط علمي، وبرغم ذلك فقد وجدت أن يكون هو الشاهد الثقة على تاريخه وتاريخ كنيسته، انطلاقاً من غيرته وحميته، وباعتباره من قادة الكنيسة الموثوق فيها لدى كنيسته.

إلا أننا في البدء، نجد ضرورة الغوص قليلاً في تاريخ الكنيسة المصرية، وإلقاء بصيص من الضوء على مصر قبل أن يأتي إليها مرقس الرسول (عند النصارى) بدين المسيحية، إذ يقول التاريخ:

• إن آخر حجر سقط من البناء الفرعوني في مصر، كان بعد الغزو الليبي ثم النوبي ثم الآشوري ثم الفارسي الذي انتهى عام ٣٣٢ قبل الميلاد، على يد الاسكندر المقدوني وبداية العصر اليوناني في مصر،

الذي نال فيه الاسكندر لقب «ابن آمون».. بعدما استطاع أن يكسب المشاعر القومية المصرية الوثنية إلى صفه، بتقديم القرابين لصنم الإله «آمون».. وأسس مدينة الاسكندرية لتكون مدرسة لحضارة بلاده، التي أطلق عليها المؤرخون اسم الحضارة الهلينستية، وأنشأ أول مكتبة عامة في تاريخ الأمم وهي مكتبة الإسكندرية.

• مات الاسكندر عام ٣٢٣ قبل الميلاد، ليبدأ عصر البطالمة اليوناني ورثة الاسكندر الأكبر، حيث تولى حكم مصر بطليموس الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، فمسخوا الحضارة الفرعونية تماماً بعدما أذابوها في الحضارة الإغريقية (اليونانية) التي كانت الإسكندرية أعظم عواصمها في العالم، حيث أضفى البطالمة صفة التقديس أو الألوهية على حكمهم ومدارسهم وأصنامهم ولغتهم في مصر، وظهرت في عهدهم الإلهة «إيزيس» والإله «سيرابيس» والإله «حورس» والتي، هي مزيج من العقيدتين الوثنيتين: الفرعونية والإغريقية، وكان أشهر معابدها، معبد إدفو ومعابد فيلا بأسوان، ذلك قبل أن يأتي المسلمون بألف عام.

• لكن المصريين الذين عزت عليهم أصولهم الفرعونية الوثنية، لم يستسلموا للبطالمة، وقاموا بعدة ثورات بدعم خارجي من الامبراطورية الرومانية التي كان يزداد نفوذها الداخلي بقدر انسحاب النفوذ البطلمي، حتى سقط البطالمة الذين أسقطوا الفراعنة من قبل إلى غير رجعة، وتلقف الرومان مصر عام ٣١ قبل الميلاد، ثم أصبحت بعد عام واحد: إحدى ولايات الإمبراطورية الرومانية، تحت حكم الامبراطور أكتافيوس الذي استطاع أن ينفرد بحكم الامبراطورية بعد انتحار منافسه في روما أنطونيوس وزوجته كليوباترا.

• وتحت ظل الرومان كان:

- حرمان المصريين من المشاركة في إدارة البلاد.
- حرمان المصريين من المشاركة في الجيش.
- أصبحت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية للبلاد.
- تقسيم مصر إلى دلتا، ومصر الوسطى، ومصر العليا.
- اعتبار الشعب المصري من الطبقة الدنيا في الحياة الاجتماعية، بعد شعب الرومان والإغريق.
- جعل الرومان مصر بمثابة مخزناً لغلال روما.
- حرمان المصريين من أية امتيازات، سوى السخرية والذل والمهانة والانكسار في حفر الترع وإقامة الجسور والقناطر وزراعة الأرض وحصادها، لحساب السلطة الرومانية الحاكمة، مع فرض ضرائب باهظة على المصريين على غرار ضرائب وأتاوات الفراعنة السابقين.

• وبعد ست وعشرين عاماً من الحكم الروماني الوثني لمصر، ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم [وليس الناصرة كما يدعونه الناصري] بفلسطين (قبل أن يبدأ التقويم الصليبي بأربعة أعوام، ولا ندري السر في ذلك ولماذا الإصرار على سرقة هذه الأعوام من عمر الدنيا).

ومن هنا نعود مرة ثانية إلى كتاب «وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها» وصاحبه الراهب العنصري المتطرف «أنطونيوس الأنطوني»، والذي سوف أعرض من خلاله: التاريخ الغائب لحضارة الكنيسة الأرثوذكسية في مصر، وسوف يكون النص إجمالاً، نقلاً عن هذا الكتاب المعتمد من الكنيسة، باستثناء ما بين القوسين المربعين [...] فهو تعليق من عندي أو إضافة أو عطف جملة على جملة.

حضارة الكنيسة المصرية

بقلم القمص الأنطوني

• يقول الكتاب، وأستسمح القراء في تكرار أن النقل نصاً (ص١٢):

« دخلت مصر تحت حكم الرومان سنة ٣٠ قبل الميلاد، وظلت تابعة لهم إلى سنة ٦٤٠ ميلادية، ولم يحدث في كل هذه المدة الطويلة ما يستحق الذكر سوى ظهور الديانة المسيحية ودخولها مصر في منتصف القرن الأول على يد مرقس الإنجيلي».

[تلك هي السطور الأربع الأولى من الكتاب، أوجز فيها المؤلف، المدة الطويلة التي يتمحك فيها المتمحكون، ويتلمس فيها المتلمسون ما أطلقوا عليه مجازاً «الحضارة المسيحية الغائبة» يشرحها الكاتب القس في سطوره التالية مباشرة قائلاً:] «ولا يمكن أن ننسى الاضطهاد الذي أثير ضد المسيحيين عموماً والمصريين خصوصاً، أقباطاً كانوا أو رومانيين، وما ظهر من نماذج رائعة من الشهداء».

[ثم يستطرد:] «عندما حضر مار مرقس الرسول إلى مصر، كانت الإسكندرية مركزاً هاماً للثقافة الوثنية، وفي مدرستها الوثنية تخرج كثير من الفلاسفة والعلماء، فكان لابد [لمرقس] أن يقيم مدرسة لاهوتية لتثبيت الناس في الدين [الجديد] والرد على أفكار الوثنيين [الذين يحاول نصارى مصر اليوم أن يردونا إليهم، ويؤكدون عناداً على أنهم امتداداً عقدياً وفكرياً وحضارياً].

وكان مرقس مثقفاً باللغات العبرية واللاتينية واليونانية، وأدرك مقدار خطر الفكر الوثني، فكانت مدرسته المسيحية، منافساً للمدرسة

الوثنية التي أنشأها بطليموس الأول ملك مصر. وفي حين تناولت مدرسة مرقس اللاهوتية فلاسفة الوثنيون حتى تستطيع الرد على هجماتهم. درس فلاسفة الوثنيون الكتاب المقدس الذي جاء به مرقس لكي يناقضوه ويشككوا الناس فيه.

مسلسل الفتن .

[ومنذ مجيء مرقس إلى مصر ودعوته إلى النصرانية بثلاث لغات. ليس من بينها اللغة الفرعونية أو المصرية أو تلك التي تسمى قبطية. فإن المؤلف الكاهن القمص المؤرخ الموسوعي. يقفز إلى عام ٣٢٥ ميلادية. لأنه كما قال في أول ما قال: أن الستة قرون الأولى من عمر النصرانية. ليس فيها ما يستحق الذكر، فبدأ في عرض الفتن التي أصابت الدعوة النصرانية الجديدة في مقتل، وكان أشهرها المجمع (المؤتمر) الذي عقد بمدينة نيقية اليونانية في مايو ٣٢٥ ص. لمناقشة خمس قضايا خطيرة:]

١- الخلاف حول تحديد يوم عيد القيامة [وهو الخلاف الذي مازال قائماً حتى تاريخ صدور هذه الدراسة].

٢- الشقاق الذي أحدثه ملاتيوس أسقف أسيوط [حول حقه في رئاسة الأساقفة، استقلالاً عن بابا الإسكندرية، وهو ما يبطل ادعاء بعض المسلمين برغبة الكنيسة في الاستقلال بصعيد مصر، إذ أن التاريخ لا يموت والمطامع الكنسية تتجدد والكنيسة الأم يروعها مثل ذلك التقسيم. إلا إذا جاءت الدعوة من أسيوط مطالبة بالاستقلال].

٣- موضوع إعادة معمودية الهراطقة [حيث أن الهراطقة هم الذين يفتون بفتاوى وآراء تختلف مع اعتقاد البابا، ولذا فهم كفار والكافر عند

بابا الاسكندرية لا تقبل إعادته مرة أخرى لحظيرة الكهنة، بينما قرر المجمع قبول اتباعه الذين فتنوا به ورغبوا في التوبة].

٤- موضوع زواج الكهنة [وهو الخلاف الذي مازال قائما حتي إصدار هذه الدراسة. إذ يرى البعض السماح بزواج الكهنة لمرة واحدة ولا يسمح له بزواج ثان وان ماتت زوجته الأولى. أما الأساقفة فلا يسمح بزواجهم إطلاقا. وهناك من يرى عكس ذلك. لأن المسيح عليه السلام لم يأمر به].

لا للتوحيد والسم هو الحل

٥- بدعة آريوس [الإسكندري] الذي أنكر لاهوت المسيح، وقال إنه مخلوق ولا يمكن أن يكون مساوياً لخالقه [وقد حكم المجمع بقيادة البابا أثناسيوس بابا الإسكندرية حينذاك، برفض آرائه هذه - شبه التوحيدية التي تنزه الله عن الشرك - وقرروا نفيه خارج البلاد، إلا أن شهوراً قليلة لم تمر، حتى صدر قرار من المجمع نفسه، بنفي أثناسيوس للمرة الخامسة في فترة توليه البابوية؛ ليعود آريوس ويتولى هو البابوية، وفي الاحتفال الكبير الذي أقيم بهذه المناسبة وضع السم له في الطعام، ليسقط أول ضحية من ضحايا الخلاف العقدي بين بابوات الكنيسة المصرية، على يد الأرثوذكس الأقباط، ولعل الصورة واضحة لدى القارىء أن الخلاف الأول كان من أسيوط، بينما الخلاف الأخير كان من قلب الكنيسة. والاثنان كانا من أكبر قادة الكنيسة وأعلاها قدماً في العلم الديني، وكانت خطيئتهما واحدة وهي رفض استدراج عقيدة المسيح عليه السلام إلى مستنقع الوثنية الفرعونية، ونزوعهما نحو تنزيه المسيح عليه السلام من أن يكون شريكاً لله].

قسطنطين رفع الصليب وهو كافر به

[ويستطرد الراهب المؤلف]: ومن المهم أن نشير إلى أن هذا المجمع، انعقد بدعوة من الامبراطور قسطنطين الكبير، أول من جعل الصليب شعاراً للنصارى، عندما رأى في الحلم إنه شاهد في أفق السماء صليباً من نور، مكتوب عليه: «بهذا تغلب»، فلما فعل ذلك ورفع صليباً غلب وانتصر.

[ولا ينخدع القارىء كثيراً برفع الامبراطور لشعار الصليب، فإن جميع الدراسات الكنسية المعتمدة وهي بالمئات، تتفق على أن هذا الفعل من هذا الامبراطور، كان عملاً سياسياً بحتاً، وإنه لم يؤمن به يوماً، إنما رفعه ليرضي به شعبه الوثني الذي يعشق الشعارات والرموز، وليرشي به أصحاب العقيدة الجديدة حتى يتفادى أي قلاقل من ناحيتهم في حربه مع خصومه، وقد فشلت جميع المحاولات في إقناعه بالنصرانية قبل موته، فرفضها وهو على فراش الموت حتى هلك، ولهذا فإن التدليس في القول بأنه انتصر ببركة الصليب، هو فضيحة تاريخية تجلب العار لكل من يرددها، أو يعتبرها شهادة لصليب يجلب النصر لكافر به].

الكنائس على أنقاض المعابد

[ثم ينتقل المؤلف الراهب إلى سنة ٣٨١ص، الذي فيه] انعقد المجمع المسكوني [المؤتمر العالمي] الثاني بمدينة القسطنطينية، برئاسة الامبراطور ثينودوسيوس، للنظر في ثلاثة بدع جديدة بحسب رأي كنيستي سوريا [أنطاكية] ومصر [القبطية] وهي:

١- بدعة أبوليناريوس أسقف اللاذقية بالشام، الذي قال بأن الله تعذب مع المسيح أثناء الصلب وتحمل معه الآلام والصلب والموت (ونعوذ

بالله من هذا الكفر)، وعدم مساواة الروح القدس (العظيم) للإبن (الأعظم) أو الأب (الذي هو أعظم منهما).

٢- بدعة أوسابيوس الذي قال بأن الثالوث القدوس هو واحد، ظهر في التوراة كأب، وظهر في الإنجيل كابن، وظهر للرسل بصفة الروح القدس.

٣- بدعة مقدونيوس الذي قال بأن الروح القدس مخلوق يشبه الملائكة وهو غير الأب وغير الابن، وأسمى منهما.

التنصير بقرار، والهدم بالتنصير

[وبناءً على ذلك، تم تجريم اللاهوتيين الثلاثة وتكفيرهم وحرمانهم من الكنيسة، ونفيهم خارج البلاد] وإصدار منشور بجعل الديانة النصرانية هي الديانة الرسمية للدولة [عام ٣٨١ص، وليس قبل ذلك، ولم يعلق المؤلف على ذلك القرار، أنه مصادرة للحريات، ولم يقل إنه منافياً للعدل، وأنه نوعاً من أنواع القهر وممارسة الدكتاتورية في فرض عقيدة إيمانية بقرار امبراطوري]

يستطرد المؤلف الراهب قائلاً: ثم أمر [هكذا قال المؤلف وهو يحكي جزءً من تاريخ الحضارة النصرانية (!!) في مصر] بهدم المعابد الوثنية، فهدم [من الآثار التاريخية العظيمة بحسب أنا شيدهم المعاصرة] في روما وحدها أكثر من ٤٠٠ معبد، وتحويل كافة المعابد الوثنية [الفرعونية العظيمة بحسب أنا شيدهم المعاصرة] في مصر إلى كنائس [وهذه حالة إقرار بالاغتصاب والنهب، لم يفعلها الإسلام الإرهابي الذي انتشر بالسيف [كما يحبون وصفه]، في أي بلد من بلاد الدنيا التي فتحها المسلمون منتصرون، رغم سعة ما فتحوه].

يقول الراهب: وكان ضمن هذه المعابد التي سرقت: معبد سيرابيس بالإسكندرية، الذي تحول إلى كنيستين باسم ابني الامبراطور، ولما ثار شعب مدينة تسالونيكي [في تركيا] لرفضهم [الديانة الجديدة] أصدر الملك [باسم رب الكنيسة المصرية] أمره بقتلهم جميعاً بدون تحقيق.

حرمان وموت وانشقاق

٤- بدعة نسطور أسقف القسطنطينية، الذي قال بأن طبيعة ألوهية المسيح، مستقلة عن طبيعته الإنسانية، ولذلك لا ينبغي أن نسمى العذراء بـ «والدة الإله» ولا يصح السجود كالمجوس لـ «الطفل يسوع».

لكن بابا الإسكندرية [باسم الرب يسوع] أصدر ضده قراراً بالتكفير والحرمان، مكوناً من اثني عشر بنداً، عرف باسم حرومات القديس كيرلس، ونفي إلى أخميم بالصعيد، حتى مات شر ميتة [بحسب تعبير المؤلف الراهب الذي يكره الدم والقتل ويتنزه عن الحقد ومأمور في إنجيله بحب أعدائه] وأكد بابا الإسكندرية أن مريم العذراء لم تلد إنساناً [ونعوذ بالله من ذلك] بل ابن الله المتجسد، فهي بحق أم الرب وأم الله.

[وإذا كانت المجامع المسكونية التي تناولها المؤلف في السطور السابقة قد وافقت قراراتها هوى المؤلف وراحته لاتفاقها مع أصول عقيدته ومدرسته الدينية، فإن مجمعاً مسكونياً عقد، عام ٤٥١ في مدينة خلقيدونية، على حدود اليونان لمحاكمة بابا الإسكندرية] فقد سمع ديسقورس بابا الإسكندرية بانحراف في اعتقاد الكاهن «لاون» أسقف روما، فعقد له مجمعاً بالإسكندرية وأصدر ضده قراراً بتكفيره وحرمانه، لكن كانت هناك أسباباً خفية في الامبراطورية الرومانية، قصدت الحد

من نفوذ البابا ديسقورس. فعقد الملك مجمعاً في خلقيدونية، واستدعى إليه ديسقورس. وبعد الجلسة وما حوته من نفاق وعنف وخداع [هذه الصفات لم يستشعرها المؤلف لخصومه الذين كانت تصدر الأحكام ضدهم من قبل] أصدر المجمع حكمه الزائف [هكذا] بنزع البابا ديسقورس عن درجته الأسقفية. وعزله من خدمة الكهنوت، ونفيه إلى جزيرة غاغرا، وهو ما جعل الكنيسة القبطية لا تعترف بهذا المجمع [حتى يومنا هذا]. وبسبب ذلك. انقسمت المملكة النصرانية الرومانية إلى مملكتين:

- غربية. عاصمتها روما.
- شرقية، عاصمتها القسطنطينية، تحت رئاسة الإسكندرية.

الانشقاق ودماء الانتقام

[لكن سنوات ثلاثة لم تمر، وبالتحديد سنة ٤٥٤، بمجرد موت البابا ديسقورس] انشقت أسقفية الإسكندرية إلى سلسلتين جديدتين:

- الأولى هي البطاركة الملكانيين (التابعين لمذهب الملك) وكانوا من الروم الإغريق، ويتم تعيينهم في القسطنطينية.
- الثانية هي الأرثوذكس الأقباط الوطنيين، الذين تمسكوا بقوميتهم [ضاربين بوحدة الكنيسة عرض الحائط] رافضين زعامة وسيطرة الروم. [كارهين أن يتولى أمورهم في مصر البطريرك الملكاني، مطالبين ببطريرك مصري. ولتحقيق هذا المطلب، ينقل لنا المؤلف مباشرة صورة من صور الحضارة النصرانية التي تعاملت مع هذا الحادث الانشقاقي الضخم في بناء الكنيسة فقال نصا ويالهول ما قال:]

لابد هنا أن نشير إلى أن شعبنا القبطي المصري، لم يقبل أن يتدخل والى مصر في رسامة [تعيين] البابا الأرثوذكسي، أو أن ينصب بطريركاً

دخيلاً، فاستغل شعب الإسكندرية الفرصة وهجموا على البطريرك، وقتلوه، وقطعوه إرباً إرباً [النص منقول حرفياً بدون تصرف] وأحرقوا جثته، وذروا رمادها في الهواء إمعاناً في الانتقام [اللهم احفظ].

[ثم يقول المؤلف:] «لم يسترح بطريرك القسطنطينية للنصر الذي أحرزه الأرثوذكسيين، فقام بإغلاق جميع كنائسهم» [والعين بالعين].

ثلاث ملل ومذبحة

[وانتهت الأزمة بأن تطهر آباء الكنيسة المصرية من دم القتيل، وعينوا لأنفسهم بطريركاً، ليصبح للنصارى ثلاثة بطاركة، الأول في مصر، والثاني في روما، والثالث في القسطنطينية].

[يقول المؤلف الراهب:] فلما فقد بطريرك القسطنطينية الأمل في كسب الكنيسة القبطية، آثر السلامة وأقام تقارباً مع بطريرك الأقباط عام ٤٨٢، ووقعا فيما بينهما وثيقة اتحاد، عرفت باسم «الهنوتيكون»، مما أثار الفرقة بين كنيستي القسطنطينية وروما، إلى أن جاء الامبراطور جوستنيان وتبوأ عرش البلاد عام ٥٢٧ص، فألغى وثيقة الاتحاد رافضاً استقلال الكنيسة الأرثوذكسية، ونفى بطريركها ثيودوسينوس، ووضع بدلاً منه البطريرك أبوليناريوس الذي دخل الكنيسة مرتدياً زياً عسكرياً، تحت حراسة جنود رومانيين، ودعا إلى الكنيسة لسماع المرسوم الامبراطوري، فأعلن الأقباط رفضهم للمرسوم، ودارت معركة دموية بين الطرفين [نصارى مصر وأتباعهم من الرومان، ونصارى الرومان وأتباعهم من المصريين] راح ضحيتها عدد كبير من الشهداء [أي شهداء؟!!] حتى أطلق الناس على ذلك اليوم «يوم المذبحة».

وهنا تنتهي سيرة الحضارة المسيحية كما أوردها نصاً الراهب القمص الأرثوذكسي «أنطونيوس الأنطوني» في كتابه الضخم «وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها» الصادر عام ١٩٩٦ بالقاهرة.

إلا أنني رأيت أن نقرأ تاريخ هذه الحضارة الغائبة من مصدر آخر معتبر بالرضى والقبول عند الكنيسة المصرية، وهو رسالة دكتوراه الراحلة فاطمة مصطفى عامر، والتي أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠ بنفس عنوانها «تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية»، فتقول:

من الناحية السياسية: كانت مصر ولاية رومانية ثم بيزنطية منذ سنة ٣١ ق.م، بعد القضاء نهائياً على دولة البطالمة [ولم يكن هناك وجود إطلاقاً للفرعونية التي كانت قد أفنيت تماماً]، وقد بذل الرومان كل وسيلة لاستغلال موارد مصر إلى أقصى درجة ممكنة، ولم يختلف الوضع في العهد البيزنطي (٢٨٤ ص - ٦٤٠ص)، عما كان عليه في العهد الروماني (٣١ ق.م - ٢٨٤ص)، [وتلك هي فترة الحضارة المزمع وصمها بالمسيحية].

أما من الناحية الدينية: كانت مصر في مقدمة البلاد التي وصلت إليها المسيحية في القرن الأول الميلادي، ثم أخذت في الانتشار تدريجياً منذ القرن الثاني الميلادي، وناصب الأباطرة الوثنيون [الفراعنة والرومان]، حتى اعترف الامبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣ص - ٣٣٧ص) بالدين المسيحي. وفي سنة ٣٨٠ص أصدر الامبراطور تيودوسيوس الأول مرسوماً يقضي بأن تكون المسيحية الدين الرسمي للامبراطور. [وهو نفس ما حققناه من قبل أن نصرانية مصر لم تكن اختياراً شعبياً، إنما كانت قراراً امبراطورياً لتفادي الصراعات الداخلية التي أوجدتها العقيدة الجديدة، ولأن الناس على دين ملوكهم، أصبحت مصر قانونياً نصرانية].

زوال النصرانية

وتستطرد د.فاطمة (ص ٢٤)، وبالرغم من ذلك، لم تنعم مصر بالأمن والهدوء، إذ سرعان ما دب النزاع بين النصارى أنفسهم، وتدخل الأباطرة، وعقدوا المجامع الدينية لإنهاء الخلافات، لكن النزاع الديني بلغ مداه حوالي منتصف القرن الخامس الميلادي حينما اختلفت الكنيستان المصرية في الإسكندرية، والرومانية في القسطنطينية، ورفض مسيحيو مصر ما أقره مجمع خلقيدونية وطردوا البطرك ديسقورس، وأطلقوا على أنفسهم اسم «الأرثوذكسيين» أي أتباع الديانة الصحيحة، فوقع المصريون نتيجة لذلك تحت اضطهاد الأباطرة، فكان ذلك فاتحة لمأساة عظيمة، استمرت حتى منتصف القرن السابع الميلادي [إلى ما بعد دخول الإسلام لمصر] وانتهت بزوال المسيحية في مصر [هكذا نصاً].

باعوا مصر بعشرين ديناراً

وبسبب هذا الانشقاق العظيم في الكنيسة المصرية التي أصبح لها بطريركان متصارعان، نجح الفرس (ص٢٨) في غزو الامبراطورية البيزنطية، وأصبح الطريق أمامهم مفتوحاً لغزو مصر سنة ٦١٩م، فاقتحموها كالسيل الجارف، وعلم أهل الإسكندرية بما أقدم عليه الفرس من أعمال التخريب والتدمير، فهرب بطريرك الأرثوذكس المصريين إلى منطقة غير معلومة، وهرب بطريرك الروم المصريين إلى قبرص وبقي هناك حتى مات، أما أهالي الإسكندرية فقد دعا قائد الفرس كل من يتراوح عمره ما بين الثامنة عشرة، والخمسين، أن يغادروا الإسكندرية سالمين، على أن يمنح كل واحد ممن يستجيبون لهذه الدعوة

عشرين ديناراً، فسجل أسماءهم، وبلغ عددهم ثمانين ألفاً، ثم قتلهم جميعاً. لكن هذه القصة مشكوك في صدقها لما كان بين النصارى من انقسامات، فقصد بها الإساءة لأتباع الأرثوذكسية الذين عرفوا حينذاك باليعاقبة، وعرف الآخرون بالملكانيين.

- وقد انتصر الفرس لليعاقبة وقضى تماماً على البيزنطيين على مدى عشرة أعوام، فرضوا فيها على المصريين (ص ٤١)، الجزية، حتى نهض هرقل الرومي استعادة مصر وتحريرها من الفرس عام ٦٢٩ص.

وحاول هرقل (ص ٤٢) التوفيق بين المصريين تحت مذهب واحد، لكن اليعاقبة الأرثوذكس رفضوا ذلك، فتعرضوا لاضطهاد شديد وضغط وإرهاب (ص ٤٤)، وأسند هرقل إلى نائبه المقوقس الرئاستين السياسية والدينية فجعله بطريركاً للكنيسة الملكانية في مصر، فأدرك بنيامين بطريرك اليعاقبة ضرورة هروبه وجميع أساقفته، واختفوا في جبال صعيد مصر، بينما لجأ المقوقس إلى وسائل الترغيب والإغراء فأغدق على الأساقفة الهدايا والتشريف فاستمال كثير من الأساقفة الأرثوذكس إلى جانبه وتبعهم شعب كبير، إلا أن عدداً من الأرثوذكس دبروا مؤامرة قتل المقوقس، فانكشفت حيلتهم ونجا المقوقس، وبدأ في الانتقام منهم جزاء غدرهم، فاستمر على اضطهادهم والتنكيل بهم، بأيدي المصريين الذي عملوا في جيش بيزنطة، وتولوا عدداً من مناصب جمع الضرائب الفادحة، والقضاء على قطاع الطرق، وإخماد ثورات أهلهم من المصريين الأرثوذكس المضطهدين، وتعقبهم في الجبال، حتى جاء المسلمون.

تقول د. فاطمة عامر (ص٥١/٥٢)، والحقيقة التاريخية أن المصريين، وإن سخطوا من المذابح والاضطهاد، إلا أنهم لم يتطلعوا إلى منقذ ينقذهم

من هذه الأوضاع الظالمة (من هول ما يرونه)، فكانت نفوس المصريين معبأة بالكراهية الشديدة والعداوة العظيمة للبيزنطيين، وإن كان الفريقان يتفقان في العقيدة الواحدة، إلا أن الخلاف المذهبي كان من العوامل الرئيسة للعداء بينهما، ومما لاشك فيه أن المصريين رأوا في الفتح الإسلامي مخلصاً لهم من اضطهاد البيزنطيين، ومحققاً لهم الأمن والسكينة، حتى استطاعوا مباشرة نشاطهم الديني في حرية وسلام.

الانتماء إلى القبطية

من الخطأ كثيراً أن يعتقد نصارى مصر، أن وجود حضارة مسيحية في مصر يتعارض مع ثوابت الإسلام، أو أنه يتعارض مع تاريخ المسلمين، فهذا تعصب ممقوت لا يليق بالمسلمين، لأنه يحمل في طياته قدراً كبيراً من الجهل بتاريخ مصر وحضارتها، واختزال عنيف لستة قرون من عمر مصر والمصريين، لأن هذه القرون التي تبدأ بدخول مرقس إلى مصر، وتنتهي باختفاء بنيامين في جبال الصعيد، هي تاريخ لكل مصري عاش على أرض هذا الوطن، قبل أن تأتيهم دعوة المسيح عليه السلام.

ثم هو تاريخ أجداد كل المصريين الذين قتلهم الليبيين ثم البطالمة ثم الفرس ثم الرومان ثم البيزنطيين، منهم كان الملكيين ومنهم كان اليعاقبة، ومنهم كان آريوس الموحد ومنهم كان الموفقين بين الوثنية والتوحيد، ومنهم من مات في سبيل الوثنية الفرعونية، هؤلاء جميعاً أهل مصر، شركاء في هذا التاريخ الغابر، نعلوا به إن علا، ونسقط به إن هوى، نوحد إن وحد الملك ونشرك إن أشرك الامبراطور.

ويبقى من أهلنا من تعذب من الوثنيين لتوحيده، كما بقي من أهلنا من

عذبه الموحدين لوثنيته التي لم يرض لها بديلاً، وهؤلاء هم مكونات حضارتنا، فهل في هذه الحضارة ما يفخر به المصري؟ وهل ما نقلناه في الصفحات السابقة يصلح لأن يكون حضارة؟ إن كان، فهو ملك للمصريين جميعاً، المسلمين أولاً ثم النصارى، لأن هذه الغالبية هي التي كانت منذ الغابر ضحية «اليعاقبة» عندما عذبها «الملكيون»، وكانت هي أيضاً ضحية «الملكيون» عندما عذبها «اليعاقبة».

كلنا أقباط، وكلنا شركاء في هذا التاريخ بعدد أفرادنا من قبل قضاء الرومان على الفرعونية ومروراً بسرقة أهلنا الأولون للمعابد وتحويلها بمساندة الامبراطور الظالم إلى كنائس بعد تطهيرها من الأوثان، أو استبدالها بأوثان جديدة، وحتى نلقى الله جل وعلا يوم تقوم الساعة.

وهنا تبرز قضية القبطية، كعنصر أساس في حل معضلة التاريخ الغائب لمن ارتضوا النصرانية ديناً، فمن هو القبطي؟ ولماذا هو قبطي؟

يقول الأنبا شنودة، وبالتأكيد فإن كلمة قبط، وإيجبيت، اشتقاق واحد، وكلمة أقباط تعني مصريين [ولا تعني أبداً نصارى] ومجرد تسميتنا بأقباط، يعني الانتماء الوطني لمصر، والحقيقة إنني أعتبر محبة الأقباط (يقصد النصارى) لمصر، محبة تفوق كل وصف، ومع ذلك في بعض البلاد الأخرى، يوجد مثل هذا الشبه، مثل السريان الأرثوذكس فالسريان اسم مأخوذ من اسم سوري، والأرمن مأخوذ اسمهم من أرمينيا، فيقال: الأرمن الأرثوذكس، السريان الأرثوذكس، الأقباط الأرثوذكس.

وقديماً كانت الكنيسة القبطية (المصرية) تسمي بكنيسة الإسكندرية، وعرفت في التاريخ بهذا الاسم طوال وقتها.

أصل المصريين

يقول الأنبا شنودة: ترجع «بداية الكنيسة المصرية، إلى منتصف القرن الأول على يد مار مرقس الرسول أحد تلاميذ المسيح، ... الذي ولد في إقليم برقة في ليبيا، وهو أول من أنشأ مدرسة لاهوتية في العالم، أطلق عليها مدرسة الإسكندرية، ففي الإسكندرية:

- كان هناك «رع» كبير الآلهة الفرعونية.
- وكان هناك «زيوس» كبير الآلهة اليونانية.
- وكان فيها البطالمة الذين أنشأوا معبد «السيرابيوم» في الفيوم.
- وكان هناك «جوبيتر» كبير الآلهة الرومانية، عندما خضعت مصر لحكم الرومان سنة ٣١ ق.م، وإلى جوار كل هذا، كانت توجد بعض الأديان الشرقية من النازحين إلى الإسكندرية من الشرق ومن الغرب»، غير اليهودية، وبقايا من المجوس عبدة النار، وآلاف من عبدة الأوثان وعبدة البهائم والملوك (للمؤلف: الفراعنة عبدة البهائم والحمير والكلاب).

وكان بالضرورة لكل عبادة من هذه العبادات أتباع وتلاميذ وكهنة ورؤساء، أقاموا كلهم في مصر، وبقوا فيها، واستقبلوا على أرضها دعوة المسيح عليه السلام، ثم استقبلوا بعد ذلك دعوة الإسلام.

أين مصر القبطية؟

وهو ما أوضحه الأنبا شنودة عن غياب حقبة مصر المسيحية (؟!!) من الوعي التاريخي، كما يردد نصارى مصر، فيقول: إن ذلك ربما يعود إلى «تقسيم فترات التاريخ تقسيماً سياسياً، فمصر الفرعونية (كانت) خاضعة لحكم الفراعنة.

ومصر اليونانية (كانت) خاضعة لحكم اليونان.

ومصر الرومانية (كانت) خاضعة لحكم الرومان حتي عام ٦٤١.

ومن عام ٦٤١ إلى عام ٦٤٤ [أي خلال ثلاث سنوات فقط بحسب تقدير الأنبا شنودة] كان الإسلام قد انتشر في بلاد الشرق، فأخذت اسم العصر الإسلامي».

ثم يعقب الأنبا شنودة بعد هذه العبارة مباشرة، وبجملة واحدة، في محاولة لنسف ما قاله التاريخ على مدى عشرات القرون، مبرراً غياب ما يسمونه بمصر المسيحية فيقول: «لقد وضعوا كل هذا بالنسبة للحكم، وليس بالنسبة للشعب».

والأنبا شنودة في هذا يقول حقاً كل الحق، أن التاريخ يكتب بالنسبة للحكومات، ولا يعتد في التاريخ عند تسمية العهود أو العصور بهوية أو إنتماء أو عقيدة الشعوب، والأحكام الشرعية في الإسلام قد تتفق مع هذا، ولكن:

- ما المراد جدلاً بتقسيم فترات التاريخ تقسيماً شعبياً؟
- وما الذي يمكن أن يستفيده ذلك من إقرار مثل هذا التقسيم؟
- وهل تختلف الأوضاع التاريخية لو أخذنا بالتقسيم الشعبي هذا؟

إن المراد بالتقسيم الشعبي، هو تغييب اسم وهوية وعقيدة السلطة التي تحكم الشعب، والاعتداد بهوية وعقيدة الشعب، بمعنى أن:

- نطلق على العهود التي كان فيها الشعب وثنياً: عصور الوثنية.
- نطلق على العهود التي كان فيها الشعب موحداً: عصور التوحيد.
- نطلق على العهود التي كان فيها اليهود غالب الشعب: عصور اليهود.
- وإذا جاء عهد تساوى فيه عدد الوثنيين بعدد الموحدين بعدد اليهود: فنقول عصر الوثنية والتوحيد واليهودية.

• فلما كانت غالبية الشعب أيام الرومان من النصارى، وجب أن نطلق على هذا العصر، العصر المسيحي.

وتلك هي القضية المحورية التي تدور حولها مطاعن نصارى مصر في التاريخ وتقسيماته، إلا أن هناك نقطتان في غاية الأهمية لا يجب أن يغيبا عنا:

أولاهما: أنه لا يوجد دليل واحد، في الحفريات أو البرديات أو الترجمات، المخطوطة أو المطبوعة، تؤكد أن شعب مصر في عهدي اليونان والرومان قد تحول كله أو أغلبيته إلى المسيحية، إنما الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر توثيقاً وأدق علمية، أن الحاكم الروماني عام ٣١٢م، أصدر قراراً باعتماد النصرانية كديانة مسموح لأصحابها أن يمارسوا طقوسهم كغيرهم من الوثنيين والمجوس واليهود الذين كانت أديانهم معتمدة.

ثم بعد ثلاثة قرون، أصدر الامبراطور الروماني قراره باعتماد النصرانية هي الديانة الوحيدة المعتمدة للبلاد، ولكن ذلك لم يعن أبداً:

- أن الشعب اليهودي في مصر أصبح كله نصرانياً.
- أو أن الشعب المجوسي في مصر أصبح كله نصرانياً.
- أو أن الشعب اليوناني الوثني في مصر أصبح كله نصرانياً.
- أو أن الشعب الروماني الوثني في مصر أصبح كله نصرانياً.
- أو أن الشعب الفرعوني الذي حاول أن يحتفظ بعقائده القديمة في مصر أصبح كله نصرانياً.

إنما الذي يمكن استيعابه، أن الدولة أصبحت مسيحية، لا أن الشعب أصبح مسيحياً.

ومرة أخرى - رغماً عنا - نعود إلى التقسيم السياسي للتاريخ، إذ نحن

عندما نقول: «العصر الروماني»، فلن نفهم غير أنه العصر المسيحي في مصر، تماماً كقولنا «الخلافة العثمانية» ولا يفهم منها غير «الخلافة الإسلامية».

إلا أن السر الخفي، يكمن في أن هذا العصر المسيحي الروماني، يستحيل أن تكون مسيحيته هي مسيحية نصارى مصر الأرثوذكس اليوم، بمعنى أن نصارى مصر الموجودون بيننا اليوم، يكفرون كفراً صراحاً بالمسيحية التي كانت في مصر أيام الرومان، وهي التي كان يعتقد بها الكاهن آريوس الموحد، وأن مسيحية مصر قد انشقت عدة انشقاقات تاريخية منذ قرون طويلة، انشقاقات انفردت بها عن كل نصرانية العالم بمختلف عقائدهم، حتى أنها وُصفت بين الكنائس الكبرى، كما قالت المؤرخة الأرثوذكسية المعاصرة إيزيس المصرى، بأنها كنيسة هرطوقية.

وعلى العموم فإن أردنا التأريخ لعصر يسمى «العصر المسيحي»، فإن علامات التأريخ البارزة سوف تكون على الوجه التالي:

النقطة الأولى: أن البداية الحقيقية لعقيدة النصرانية في مصر، كانت عام ٢٨٤ (بحسب التقويم الصليبي) فيما عُرف في أدبيات الكنيسة بعصر الشهداء، والثابت أن أول راهب في مصر، ولد عام ٢٥١ص، ومات عام ٣٥٦ص، ويعرف باسم الأنبا أنطونيوس، ويمكن اعتبار بداية رهبانيته أول القرن الرابع، هي البداية الحقيقية للنصرانية في مصر ومن ذلك، يمكن تحديد العصر المسيحي بالفترة من عام ٢٨٤ص : عام ٦٤١ص، وهي تساوي ٣٥٧ عاماً بالتحديد، تعرف في التاريخ باسم العصر الروماني.

فلماذا تتباكى كنيستنا المصرية على عصر مسيحي لا تنتمي إليه، بل تتبرأ منه وتكفر به كفراً بواحاً؟

النقطة الثانية: الذي لا يجب أن يغيب عنا في هذا الموضوع، أن كون التاريخ، قد اعتمد التقسيم السياسي ولم يعتمد التقسيم الشعبي، وكون أن العصر الروماني يجب أن يحذف من التاريخ وتعاد تسميته بالعصر المسيحي، أو أن يكون لمصر تاريخين لفترة زمنية واحدة، تاريخاً بحسب التقسيم السياسي يسمى بالعصر الروماني، وآخر بحسب التقسيم الشعبي يسمى بالعصر المسيحي، فإن هذا أو ذاك:

١ - لم يكن من صنع المؤرخين المسلمين.

٢ - هو تقسيم صليبي غربي، اعتمدته الدنيا بأثرها، لكونه أقرب إلى العلمية والقبول العقلي.

٣ - إن وجود حقبة رومانية يريد نصارى مصر إن يبدلوا اسمها أو وصفها بالمسيحية، لن يضير الإسلام أو المسلمين في قليل أو كثير، إن لم يكن دعماً لتاريخ الإسلام والمسلمين في مصر.

٤ - أرى أن مكونات وتفاصيل ما تريد الكنيسة تسميته بالحقبة المسيحية أو التاريخ المسيحي، هو ليس في صالح النصرانية المصرية، ولا في صالح تاريخ النصرانية عامة، لما يغلب عليه من روح الاضطهاد والفرقة والاختلاف والانتقام والدم والقتل وسفك الدماء، إلا أن يكون تصفية حسابات مع الكنيسة الغربية التي مارست في الغالب، كل أنواع الاضطهاد والانتقام والدم ضد نصارى مصر، فيكون الأمر له ما يبرره.

ويقول د. رأفت عبد الحميد في «الفكر المصري في العصر المسيحي» (ص١٢):

أما القول بـ «مصر القبطية» أو «مصر في العصر القبطي»، فهو بعيد عن الحقيقة التاريخية، لأن تاريخ القبط هو تاريخ مصر كلها منذ بدايته المعروفة في الألف الخامسة قبل الميلاد، إلى أن تقوم الساعة.

ثم يضيف (ص١٢/١٤): القبطية إذا ليست ديناً. ومن الخطأ البين القول بـ «الديانة القبطية». إلا إذا انصرف الذهن إلى الآلهة المصرية القديمة، و نسبة القبطية [إلى تاريخ مصر أو فترة منه]، لا تعني «المسيحية»، وليست بديلاً عنها، إنما تعني المصريين جميعاً، المسلمين [ثم] والمسيحيين على السواء، فهذا قبطي مسلم، وهذا قبطي مسيحي.

• وهكذا يجب أن يتفق الأهلين على إنه لا تميز ولا تمييز بين الأهلين من حيث انتمائه للقبطية، فالأرض مشتركة والتاريخ أيضاً مشترك. لا تصنيف ولا استئثار ولا أنانية ولا تزييف، فالتاريخ تاريخ مصر، إن كان أيام الرومان أو الفرس، أو كان تاريخ دولة الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، لا يملك واحداً يعيش على أرضها أن يتبرأ منه، أو من فترة من فتراته، سواء كان الحاكم فيها فرعونياً أو ماجوسياً أو رومانياً وثنياً أو بيزنطياً نصرانياً، ونسأل الله الهداية لمصر وللمصريين، نصارى ومسلمين، وأن يجتمعوا على قلب رجل واحد، يعمهم الرخاء، ويشملهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

موسوعة

النصارى والنصرانية والتنصير

عمل علمي متميز وغير مسبوق في المكتبة العربية

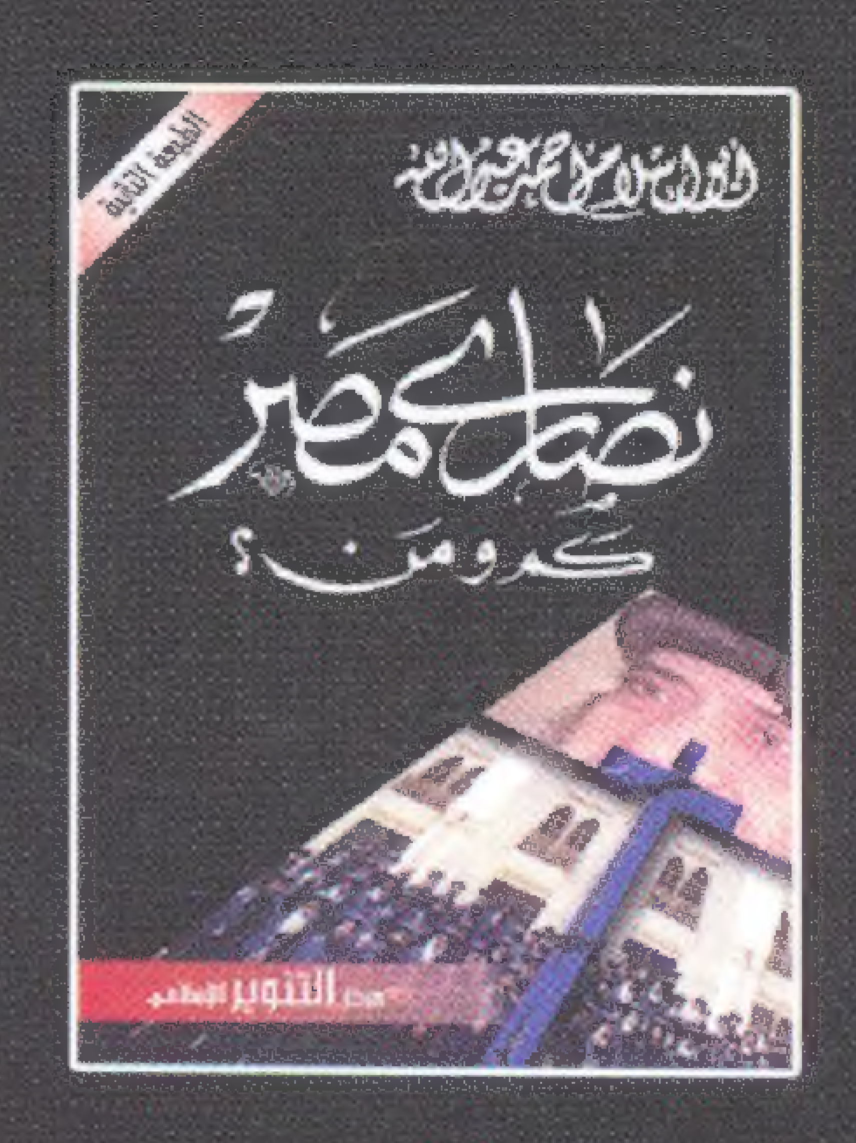
احرص على اقتنائه بين مجموعة الأعمال الكاملة للمؤلف

وفي حالة افتقادك لأي إصدار للمؤلف، يمكنك طلبه بالوسائل التالية:

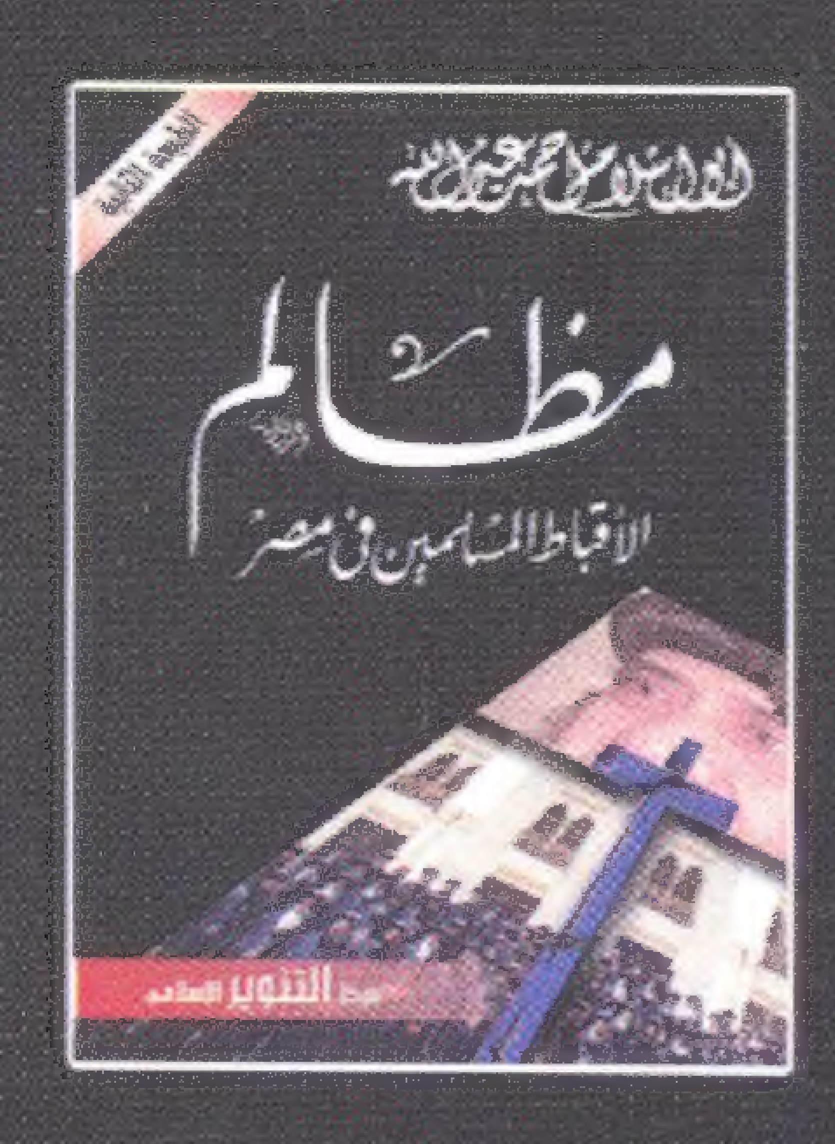
هاتف ٤٨٤٤٦٠٤ القاهرة - كوبري القبة - ١٠١ ش القائد - أمام مترو أنفاق منشية الصدر

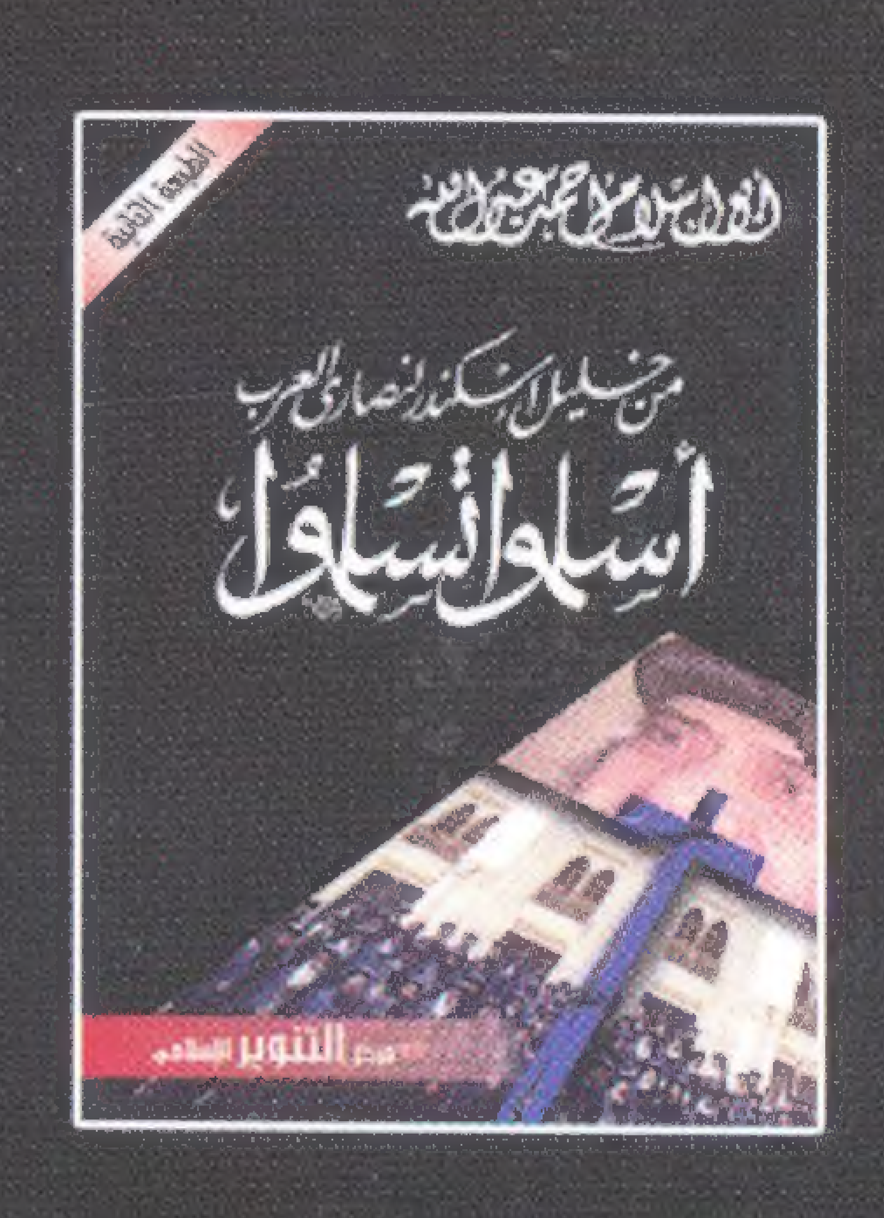
أو البريد الإلكتروني [abuislam_a@hotmail.com]

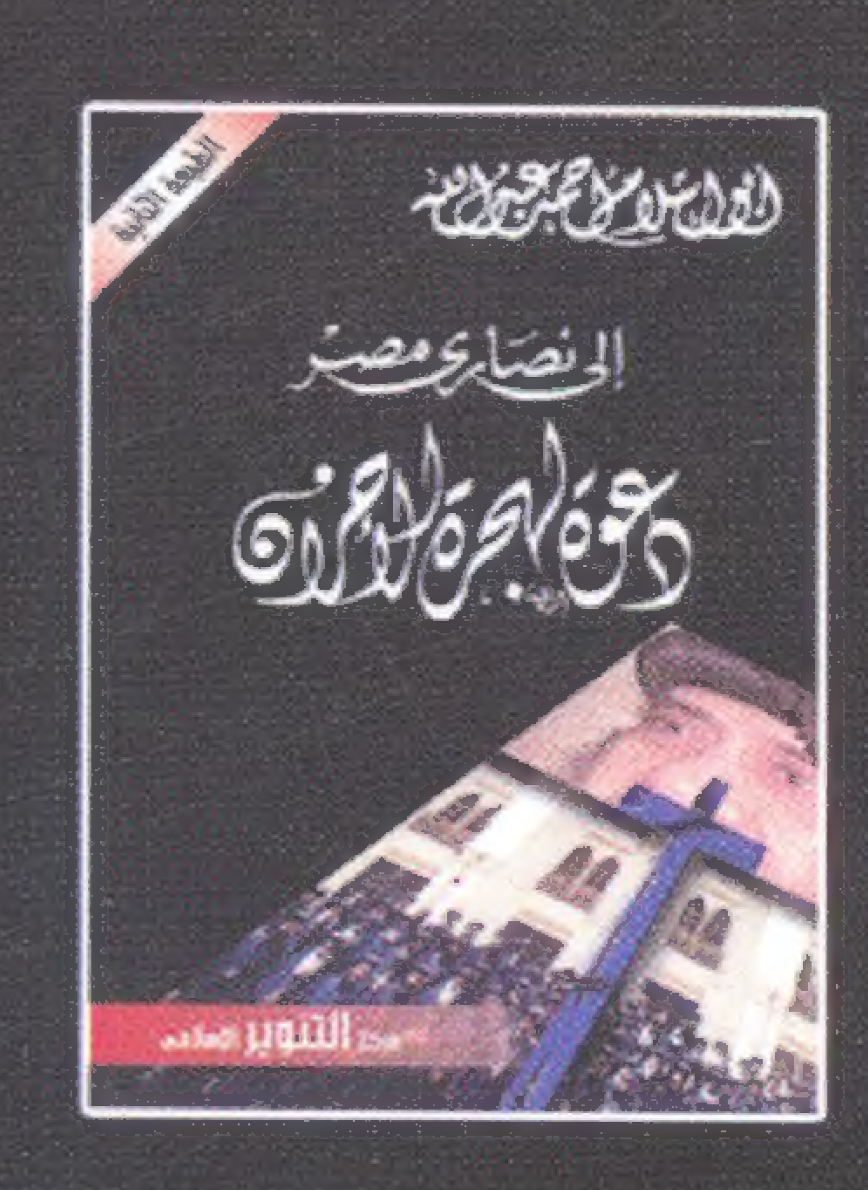
أبو إسلام أحمد عبد الله

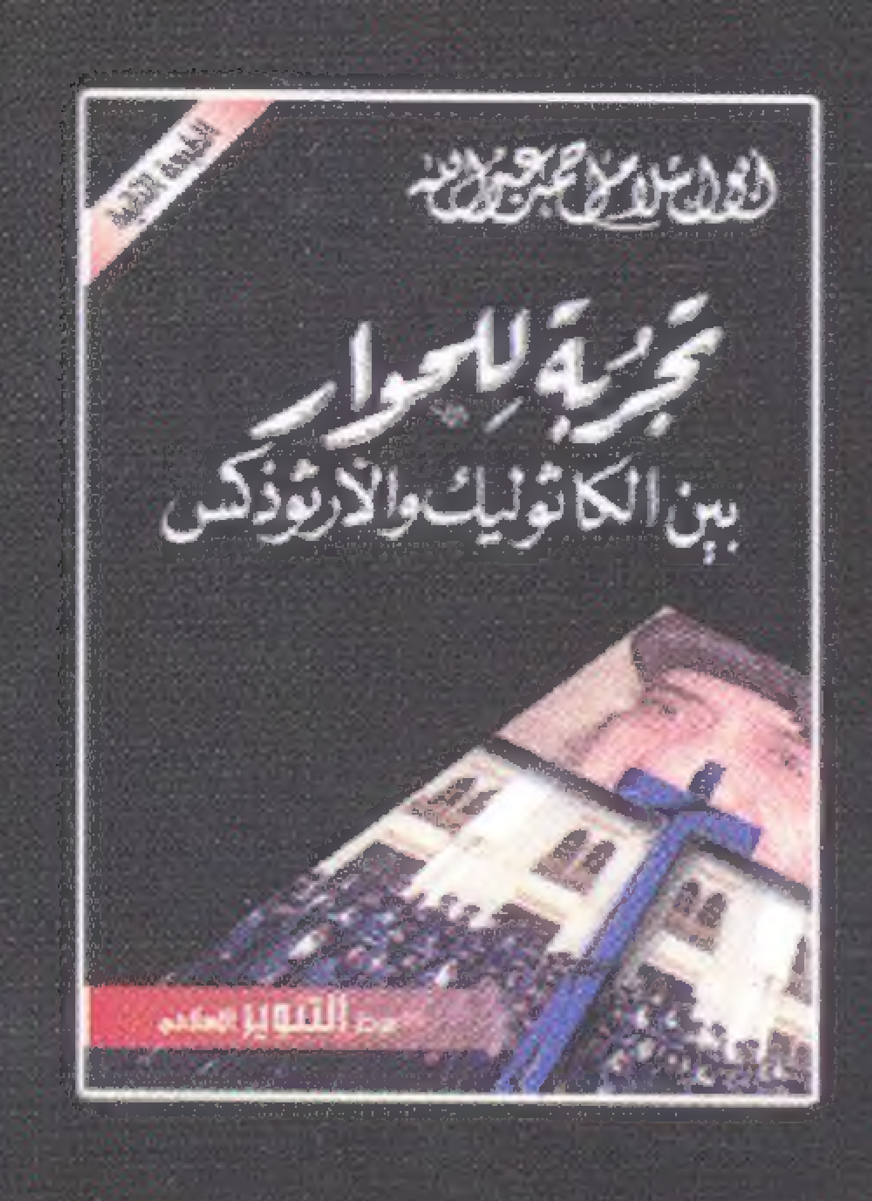


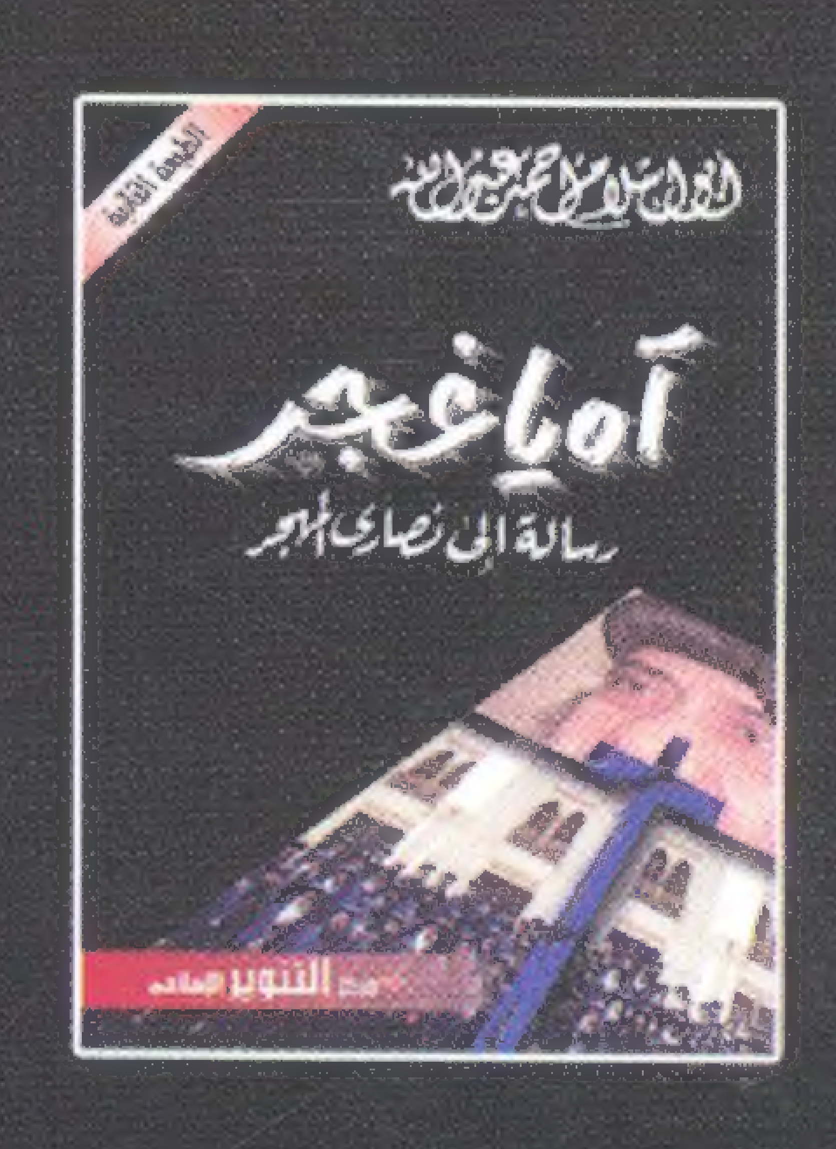


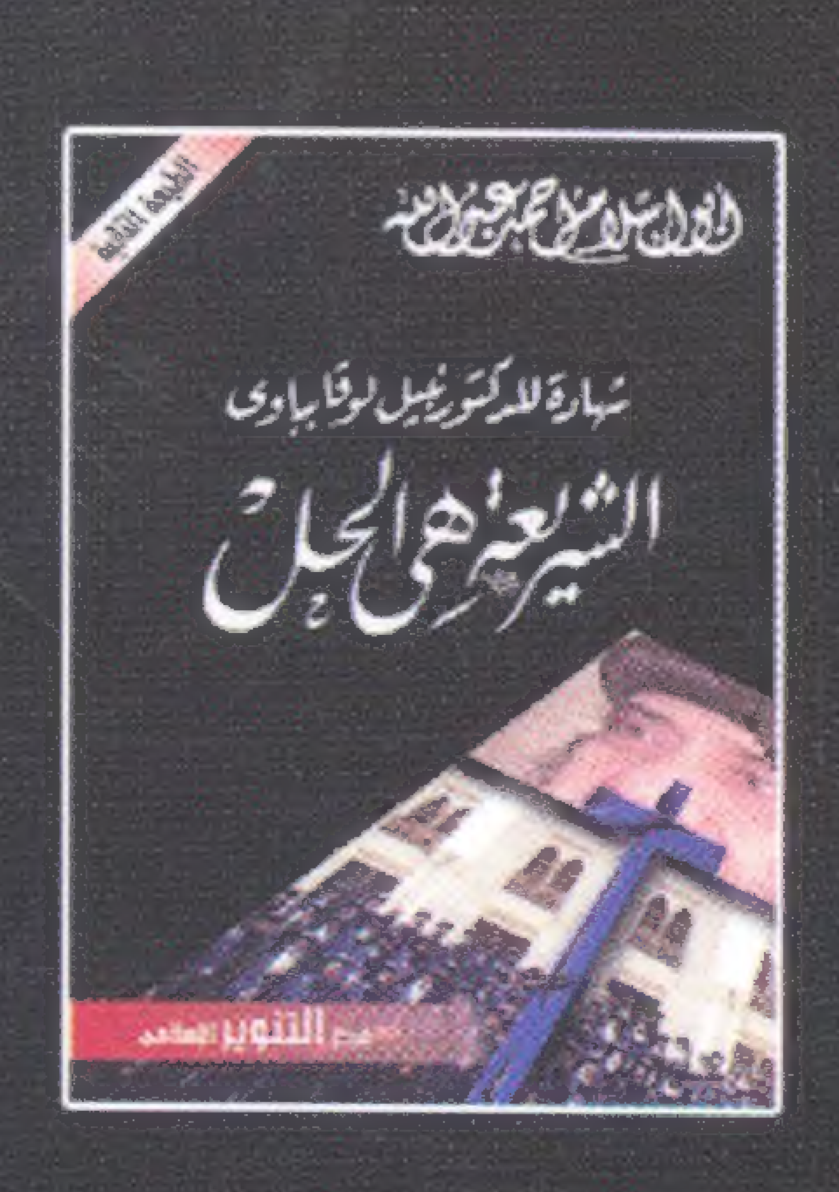


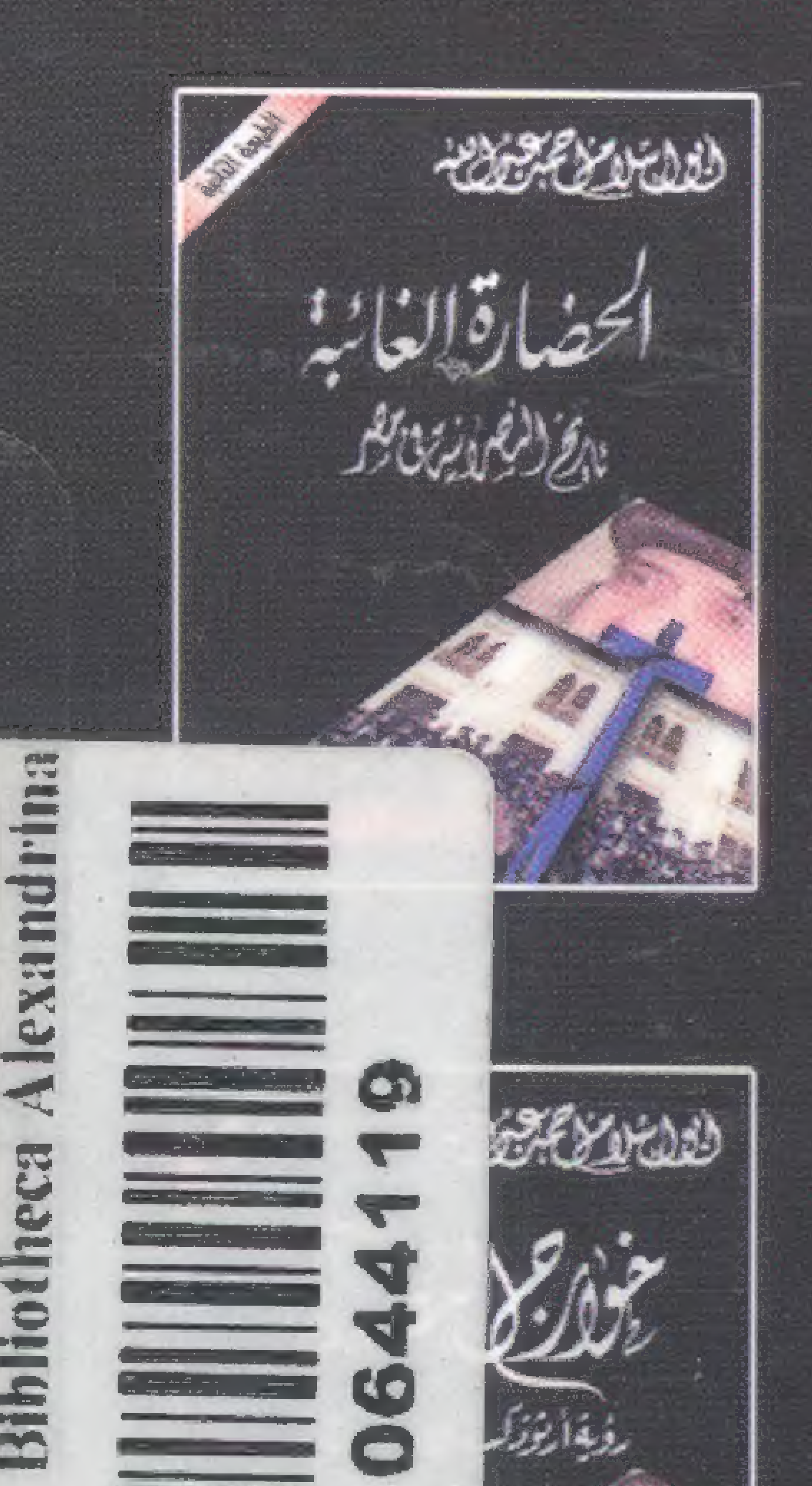


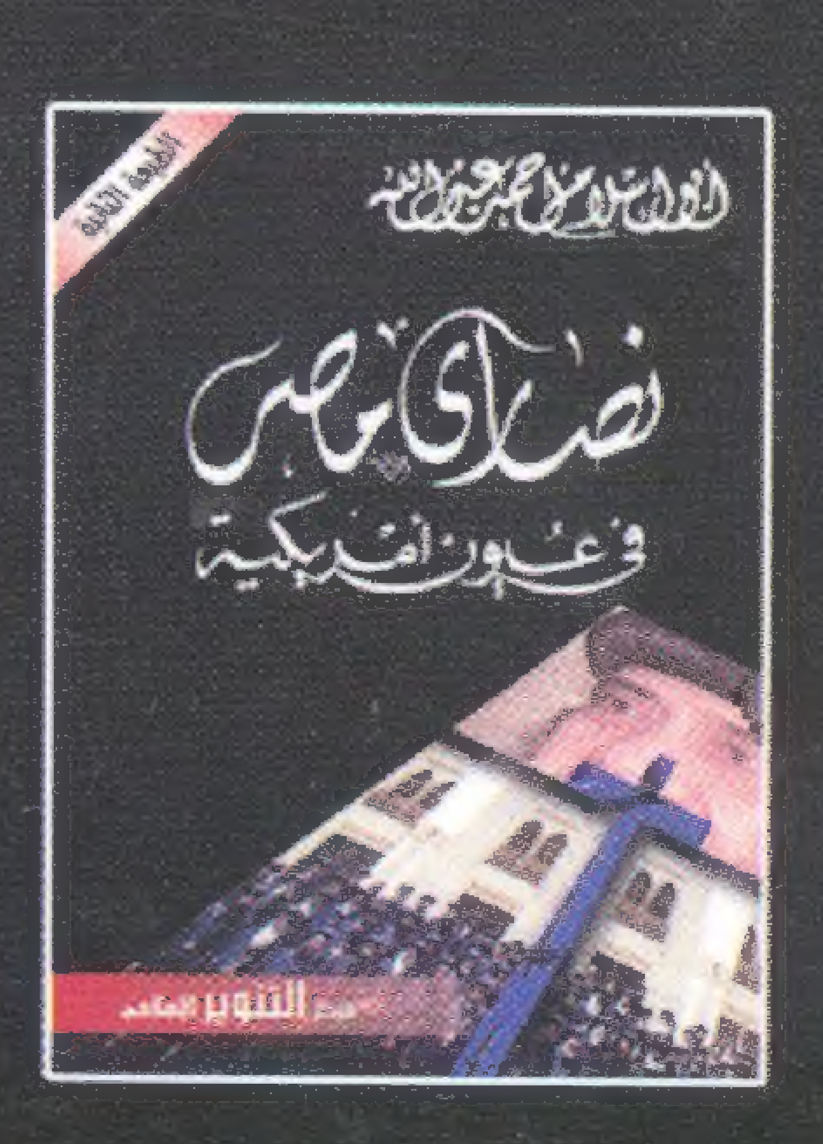


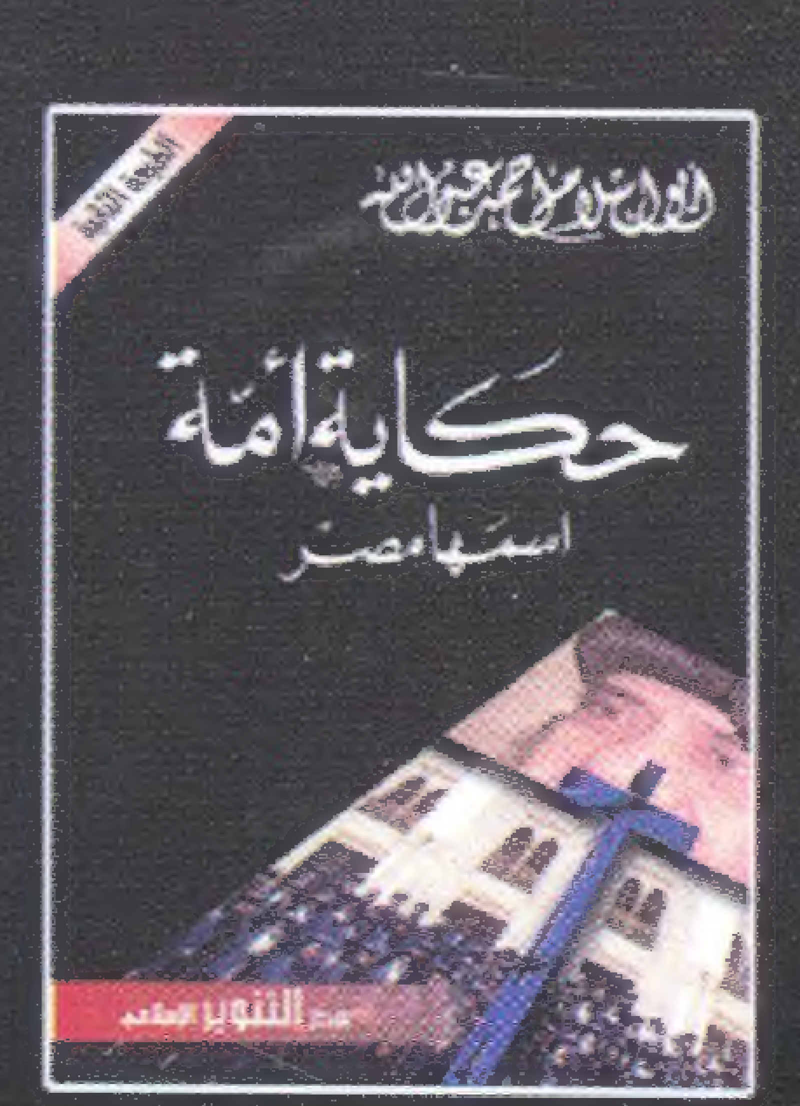












07.293
1354
2004
Bibliotheca Alexandrina
0644119